طرف الكون»[١٠٢] هو الفندق الذي يقيم فيه في البصرة حتى يتمكن من ترتيب أمور تهريبه الى الكويت، عبر الصحراء، نتعرف على الاسباب التي جعلت أباه يترك البيت والاطفال الاربعة؛ أبناءه، ويطلّق زوجته. وفي سياق الكشف عن هذه الاسباب نعرف شيئاً عن مواصفات بيت المخيم، كما نعرف شيئاً عن مواصفات البيت الآخر الذي انتقل اليه الأب، باعتبار أن هذا البيت الذي شكّل أقصى طموحات الأب هو السبب وراء ما حلّ بالأسرة. يقول مروان متحدثاً لأمه، ولنفسه أيضاً، عن أبيه: «لقد كان طمـوحه كله... كل طموحه، هو أن يتحرّك من بيت الطين الذي يشغله في المخيم منذ عشر سنوات ويسكن تحت سقف من اسمنت، كمـا كان يقول...الآن، زكريا راح...آماله كلها تهاوت... أحلامه انهارت... مطامحه ذابت... فماذا تعتقدين أنه سيفعل؟ لقد عرض عليه صديقه القديم والد شفيقه ان يتزوجها... قال له إنها تمتلك بيتاً من ثلاث غرف في طرف البلد، دفعت ثمنه من النقود التي جمعتها لها منظمة خيرية»[١٠٣]. وعبر تداعيات مروان عن رسالة بعثها أخوه زكريا من الكويت نعثر على إشارة تفيد بوجود مدرسة في المخيم يتعلم فيها مروان ويدعوه أخوه الى تركها و«أن يغوص في المقلاة مع من غاص»[١٠٤]. ويكشف الرواي عن الغاية ـ الهدف الذي توخاه مروان من انخراطه في رحلة البحث عن منفى في المنفى، فهو يتطلع الى سد الفراغ الذي تركه زكريا يوم توقف عن ارسال «مئتي روبية»[١٠٥] شهرياً، كانت تحقق للأب بعض الاستقرار الذي يحلم به، وهو يتطلع الى ان يرسل كل قرش يحصّله الى أمه كي «يغرقها ويغرق إخوته بالخير حتى يجعل من كوخ الطين جنة الهية... ويجعل أباه يأكل أصابعه ندماً!»[١٠٦]. ومن خلال صوت الراوي، المتداخل مع تداعيات مروان، نتعرف على شيء من مواصفات بيت الاسمنت من خلال تعرفنا على ماحدث عندما ذهب مروان لتوديع أبيه، يقول الراوي: «صفق الباب وراءه وسار. كان ما زال يسمع صوت عكاز شفيقة يقرع البلاط برتابة، وعند المنعطف تلاشى الصوت»[١٠٧].

تلك هي جملة الاشـارات التي عثـرنـا عليهـا في سياق السرد الروائي عن كوخ الطين وبيت الاسمنت، عبر آليات انبثاقها المختلفة، وجلي هنا، كما هو الحال دائماً في روايات غسان كنفاني، أن الاماكن لا تحضر الاّ عبر صلتها بالشخصيات والاحداث، وهي هنا تجيء في سياق رسم الخلفية الاجتماعية لمروان، والطموحات التي سكنت أباه والتي تسكنه، وتلك التي سكنت أخاه زكريا. لا شك ان زكريا، في البدء، كان يتطلع الى انقاذ الاسرة من الجوع والفقر وكوخ الطين غير أنه ضاع في الكويت، وتخلى عن تطلعه، فانهارت بذلك أحلام الأب وتمزقت الاسرة، فجاء مروان حاملاً الطموحات ذاتها بل رافعاً سقفها الى الأعلى من خلال رغبته في تحويل كوخ الطين الى «جنّة الهية»! وهكذا يتبدى «البيت» في بؤرة أحلام اليقظة والطموحات على نحو مقارب لمّا رأيناه عند أبي قيس. ويتبدى بيت الاسمنت ذو الغرف الثلاث والسقف الاسمنتي والارضية المبلطة، نقيضاً لكوخ الطين في المخيم، وسقفاً للطموح الدافع الى رحلة البحث عن تحسين شروط الحياة في المنفى، بعيداً في المنفى. وهي الرحلة التي انتهت الى موت مهين داخل خزان، هو قبر في صحراء، هي مقبرة.

ولئن كانت الاشارات السابقة، لا تكفي لاقامة تصور واضح حول انعكاس بيوت المخيم والمخيم نفسه في روايات كنفاني التي تناولت أماكن المنفى خارج الوطن، فإن الاشارات الواردة في رواية «أم سعد» تساعدنا على اقامة مثل هذا التصور، فالاحداث والوقائع والتحولات الملحمية التي تقدمها روايـة «أم سعد» تقع في إطار المخيم كمكان للمنفى خارج الوطن، وتستحضر أماكنه، كأماكن في المنفى، وذلك لأن الشخصيـات التي تتحرك في الرواية، وخاصة «أم سعد» تسكن المخيم، وتعيش تحـولاتـه النـاجمـة عن تنـامي البـدايـات الاولى للثـورة الفلسطينية، وتحولها الى مدّ جماهيري